

الضرب وأثره على سلوك الطفل

د. عبد الباقي دفع الله أحمد

قسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

تمهيد :

الطفولة مرحلة عمرية من دورة حياة الإنسان تمتد من الميلاد وحتى المراهقة، والطفل اصطلاحاً هو الصغير أو الرخص الناعم. وفي كتابه الطفولة في قرون (Centuries of childhood، 1962) يشير فيلب أريس إلى أن الطفولة مرحلة حديثة نسبياً، فالأطفال في القدم كانوا يعيشون كالكبار، ولم يكن معروفاً أن للطفولة خصائصها وحاجاتها وأغراضها وفرصها كالخيال واللعب، فدورة حياة الكائن الإنساني كانت تنقسم إلى ثلاث مراحل: الرضاعة (Infancy) وما قبل البلوغ (Pre-adulthood) والبلوغ (Adulthood)، ففي مرحلة ما قبل البلوغ يعد الفرد للعمل والإنتاج وتحمل المسؤولية، وهذا ما سيمارسه في مرحلة البلوغ.

أما فلاسفة أوروبا في القرون الوسطى، فقد تعاملوا مع الطفولة من منظور فلسفي، أو من منظور ديني، من خلال المنظور الأول بحثوا في أصل المعرفة، هل المعرفة فطرية أم مكتسبة؟، فإذا كانت المعرفة فطرية بالمفهوم الأفلاطوني، فالنفس كانت تعرف كل شيء قبل أن تحل في الجسد، ولكنها تنسى ما كانت تعرفه ثم تبدأ باسترجاع ما نسيت من خلال ما تقع عليه عبر الحواس، فإن التعلم عندئذ لا يكون سوى عملية تذكّر، وبالتالي يلزم المربين إتاحة الفرصة للأطفال كي يتحسسوا ما حولهم من مشيرات حتى تسترجع النفس ما كانت قد نسيت. ومن خلال المنظور الديني فقد بحثوا في أصل الطبيعة الإنسانية، هل الإنسان خير بالفطرة؟ أم شرير بالفطرة؟ وجهة النظر الأولى

يترتب عليها المطالبة بتدعيم هذه الخيرية وحماية الطفل من الانحراف عنها، ووجهة النظر الثانية تطالب بدراسة الكتاب المقدس وإكساب الطفل الخيرة الدينية. من ناحية أخرى يذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين الجزء الثاني من المجلد الثالث، أن الطفل يولد ناقصاً، وأنه بحاجة إلى إكمال هذا النقص، والمقصود بهذا النقص هنا ضعف الجسم بالقياس بأجسام الكبار وقابليتهم للتحسين المستمر، ويشبه النقص في كمال البدن بالنقص في كمال النفس فكما أن البدن لا يكتمل ولا يقوى إلا بالغذاء والتدريب، فكذلك النفس لا تكتمل ولا تقوى إلا بالتربية والتغذية والتعلم، ويرى الغزالي أن الطباع التي جبلت عليها النفس البشرية قابلة للتحويل والتبدل، وفي هذا الصدد يقول الغزالي : (لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله (ص) : (حسنوا أخلاقكم) فانغزالي يرى أن التهذيب أمر ممكن شريطة ألا يصاحبه القمع، فهو أسلوب عقيم لا يؤدي إلى النتائج المرضية.

أوضح عبد الفتاح (1999) أن الرغبة في الدراسة المتعمقة لمرحلة الطفولة دفعت إلى تقسيمها إلى مراحل فرعية وفقاً لأسس معينة، فتبعاً للأساس التربوي تقسم إلى : مرحلة المهدي، ومرحلة ما قبل المدرسة، ومرحلة المدرسة الابتدائية. أما الأساس البيولوجي فقد تم تقسيمها إلى مرحلة الرضاعة ومرحلة الطفولة المبكرة، ومرحلة الطفولة المتوسطة، ومرحلة الطفولة المتأخرة، وتبعاً للأساس الشرعي فقد قسمت لمرحلة الرضاعة، ومرحلة ما قبل التمييز، ومرحلة التمييز. ويمكن تبني كافة المصطلحات الواردة أعلاه بهذا المقال تبعاً لطبيعة الظاهرة المدروسة.

تساؤلات الدراسة :

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. ما هي الآراء المختلفة التي حملها علماء النفس والتربية حول الشروط اللازمة للتوجيه السليم؟
2. هل يمكن الاستغناء كلية عن الضرب واستبداله بطرق أكثر إيجابية في التوجيه؟
3. ما هي أبرز نواحي القصور المرتبطة بالعقاب البدني للأطفال؟، وهل توجد طريقة فعالة للعقاب البدني، إذا كان لا بد منه؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى :

1. التعرف على أبرز الآراء حول أفضل الطرق للتوجيه السليم للطفل.
2. توضيح أهمية الجوانب النفسية في التنشئة الاجتماعية لخلق جيل يحقق متطلبات الأمة من خلال الاستغلال الأمثل لقدراته. وتوضيح الآثار الناجمة عن العقاب البدني الفاشم.
3. التوصل لبعض المقترحات والتوصيات التي ربما تسهم في تعديل المفاهيم لبعض المسيرين الذين يصرون على أن الضرب أفضل وسيلة للتوجيه والتعليم.

أهمية الدراسة :

تمثل أهمية الدراسة في أنها :

1. تلقي الضوء على أهم الطرق والوسائل التي ينبغي أن تستخدم في توجيه الأطفال والانتباه لها، والمفاهيم الخاطئة حول الضرب وآثاره المستقبلية.

2. تزويد المربين بألية عملية فاعلة في استخدام الإدارة الاحتمالية للتوجيه السليم للطفل سواء أكان في المنزل أم المدرسة.
3. إثراء أدب الدراسات السابقة المتعلق بأثر الضرب على الطفل خاصة أن مثل هذا النوع من أساليب الإرشاد والتوجيه ما زال يستخدم بصورة مزعجة من قبل الآباء وبعض المعلمين.

منهج الدراسة :

تقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج التحليلي (Analytical Method) في الوصول إلى الإجابات المناسبة عن الأسئلة السابق عرضها، من خلال تحليل البيانات ونتائج البحوث والدراسات المتصلة بموضوع الضرب وأثره على سلوك الطفل من زاوية اهتمام الدراسة الحالية واستخلاص المعلومات اللازمة لها.

مفاهيم الدراسة :

1. العقاب البدني :

تبنى هذه الدراسة التعريف الذي أورده عبد المجيد نشواني (1987) بأنه " الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى إضعاف أو كف بعض الأنماط السلوكية، وذلك إما بتطبيق مثيرات منفرة غير مرغوب فيها على هذه الأنماط، بحيث يترع السلوك موضع الاهتمام إلى الزوال. يعرف الباحث مصطلح العقاب بأنه يعني ضرب الطفل بالعصا أو السوط أو نحوها على اليدين أو الظهر أو الرجلين أو الشد من الشعر أو

الصفع على الخد أو الضغط على الأذن بهدف كف سلوك يعتقد الوالد أو المربي بأنه غير صحيح.

2. سلوك الطفل.

يمثل السلوك كل ما يصدر عن الطفل نتيجة لتفاعله مع محيطه، ولهذا السلوك أربعة جوانب تتمثل في الجانب الجسدي أو العقلي أو الاجتماعي أو الانفعالي.

إجابة السؤال الأول: ينص السؤال الأول لهذه الدراسة على الآتي: (ما هي الآراء المختلفة التي يحملها علماء النفس والتربية حول الشروط اللازمة للتوجيه السليم؟)

ذكر شفيق فلاح (1989) أن المثل يقول لكي تدرس (محمدًا) اللاتينية ينبغي أن تعرف محمدًا واللاتينية، عليه لكي يرشد الطفل ويقوم ينبغي معرفة خصائص الطفولة وخصائص الثواب والعقاب وبعض العوامل المرتبطة بهما. وعليه ينبغي وضع عدد من الاعتبارات فيما يتعلق باستخدام الضرب البدني بهدف توجيه الطفل وإرشاده، أو منعه من الإتيان بما يتناقى مع العرف والمعتقد:

1. لا يحسب الإنسان بطبيعته للخنوع للأوامر إذا ما شعر أن فيها إلغاء لإرادته وتخطيا لذاته ورغباته واستهزاء بوجوده وانفرادًا بتوجيه هذه الأوامر من قبل الأمر فقط؛ لأنه الأقوى، سواء أكان مصدر قوته هو سلطته أو ماله أو مركزه... الخ، وهذا بالضبط ما ينبغي مراعاته عند توجيه الأمر للطفل؛ فينبغي ألا يصله الشعور بأي حال بأن الوالد يأمره بسبب أنه الأقوى، وأن عدم الطاعة سيسبب له الإيذاء أو

الحرمان، وهذه أول قاعدة من قواعد وقوانين إعطاء الأوامر وبالتالي توجيه الطفل وإرشاده.

2- القاعدة الثانية هي احترام رغبة الطفل عند توجيه أمر إليه، فلو كان تنفيذه للطلب أو الأمر سيأخذه من شيء يستمتع بفعله فلا بد من إشعاره بتقدير هذا الاستمتاع، وأنه على الفور سيعود لما كان يستمتع به، فيقال له مثلاً: "اترك اللعب قليلاً لكي نأكل على أن نعود ونلعب بعد ذلك".

3- يحتاج الطفل إلى الحب، والحنان، والتوجيه برفق، وأن يعود على السلوكيات الصحيحة بصبر وحكمة، ومحاولة التقرب منه، وإنشاء صداقة معه، وإيجاد أسلوب أو طريقة للفهم المتبادل، ويعلم متى يرضى عنه، ومتى يغضب منه بهدوء دون ضرب وصراخ.

4- يسعى الطفل جاهداً لكسب حب وقبول المحيطين به، ويستطيع أن يتبع عدداً قليلاً من القوانين، ولكن بلا استمرارية أي ليس بصفة دائمة منتظمة؛ فهو يتبعها مرة وينساها أخرى. ومن السهل على الطفل ألا يتصرف تصرفاً مقبولاً؛ لأنه حديث العهد بتعلم القوانين، فلا بد من ترك مساحة له من السماح والمسموحات.

5- يجب التزم الصدق والوفاء بالوعد، فإذا وعد بهدية أو ما شابه فيجب الوفاء بهذا الوعد؛ لأن خلف الوعد مرة واحدة سيفقده النظام الذي يجب أن يعتاده.

6- ضرورة التنوع في لهجة وطريقة إعطاء الأوامر حتى لا يصاب الطفل بملل منشؤه الاعتياد على نمط واحد من التعامل يقضي فيه نهاره يوماً؛ فعند الطعام مثلاً بدلاً من "هيا لتأكل" يقال له "من سيأكل أجمل طعام ليكبر؟"، وبنبرة أخرى وصوت مبتهج ووجه مبتسم "من يغسل يده جيداً ليأخذ الفاكهة.. أو الحليب؟"، وبالطبع لا بد من أن يكون الحديث واضحاً ومبسّطاً ومفهوماً، والأهم أن يكون بشكل مرح ومتنوع لا بتقطيب الجبين والتلويح بالأصابع وبأجش الأصوات.

7- يجب أن يكافأ الطفل فعلاً عندما يطيع ليعلم الفرق بين الطاعة وعدم الطاعة، كما يجب أن تستخدم أساليب الحفز والتشجيع المختلفة؛ فالوالدين ما زالوا يمثلون مرآته التي يرى فيها ذاته وتدعم من خلالها ثقته بنفسه وبحب المحيطين له وبقدرته على الحفاظ على هذا الحب بالفعل الصحيح.

8- يجب عدم اللجوء للصراخ نهائياً؛ فالعصبية معدية. فالطفل يلتزم بالقوانين عندما تكون في مصلحته الفورية الآنية. والفعل الجيد هو الذي يقوده إلى نتائج سارة.

9- يحسب مشاركة الأبناء في ممارسة بعض الأنشطة والألعاب بشكل يومي لخلق آفاق رحبة للصدقة والشراكة.

10. هنالك بعض الأنماط السلوكية الشاذة التي يكتسبها الطفل من خلال تفاعله مع محيطه، مثل مص الأصابع أو التبول أو الكذب، فإن معاقبة مثل هذه الأفعال السلوكية قد يؤدي لكثير من التعقيدات لأنها أعراض لمشاكل أخرى ينبغي معرفتها. أورد مكفارلند (1994) أنه كثيراً ما يصادف الوالدان ظروفاً يجدان أنها فرصة لتوجيه الطفل، إما بإبداء الاستحسان وإثابة الطفل، وإما باستهجان فعلته وعقابه، فما هي القواعد العامة لسلوك الآباء في تلك المناسبات ؟

يقصد بالثواب الجوائز المادية السارة التي يجلبها الطفل كالحلوى واللعب والنقود، أو الجوائز المعنوية عن طريق إظهار علامات الرضا والاستحسان بالعبارات الطيبة أو الابتسامة المشجعة.. كما أن منها العفو عن ذنب أو هفوة سابقة - إن لم يكن قد عوقب الطفل بعد. إذن ما هي المناسبات التي تثير عليها الطفل ؟ وهل نكافئه كلما أتى خيراً ؟.

إن القاعدة العامة، ألا يثاب الطفل إذا أدى عملاً يجب عليه أدائه، والشكر على عمل الواجب أمر غير مستساغ، وعلى هذا يكون تناول الطعام في مواعيده المحددة أو أداء الواجبات المدرسية أو ما أشبه أموراً واجبة الأداء لا يقابلها أجر ولا

ثواب. وهذا كله لتعلم قاعـدة أن (الواجب مقدس) وإلا نشأ الطفل مادياً نفعياً ينتظر أجر ما يجب عليه أن يعمل، إذا أظهر من الفعل ما يدل على روح عالية فإنه يكون أجدر بالمكافأة وأهلاً للثواب. وعلى ذلك يعتبر الثواب وسيلة لتعليم قيم السلوك ولا يصح أن يعتبر غاية في حد ذاته.

أما الطفل المخطئ الذي لم يصلحه التوجيه والإرشاد فنصيبه (العقاب) حتى يحول الألم الناتج عنه دون تثبيت العادات السيئة في نفس الطفل، ولكن إلى أي حد تكون شدة العقاب؟ يلاحظ في كثير من الأحيان شدة انفعال الآباء في إيقاع العقاب. ومما لا شك فيه أن هذه التهديدات الخاوية والعقوبات الفاشمة تجني كثيراً على شخصية الطفل وصحته وبدنه، وربما تخلق فيه شعور الكراهية نحو من عاقبه فيلجأ للخداع والمداهنة لشعوره بالعجز عن الانتقام.

لم يوافق عدد كبير من علماء النفس على استخدام العقاب إطلاقاً، فقد أوضح محمد رفعت (1984) أنه لا شك أن العقاب وسيلة فعالة من وسائل إدخال قيم الضبط الخارجي، ولكن لا بد أن يسبقها التوجيه والإرشاد وما ينبغي فعله، ولكن عند العقاب ينبغي مراعاة الآتي:

1. إقامة علاقة وطيدة مع الطفل إذا لم تكن قائمة بالفعل، حيث تكون جميع أنواع إجراءات الانضباط والتأديب أكثر فاعلية عندما توجد رابطة قوية موجبة بين الطفل والراشد.
2. التأكد من أن المعاقب يتحكم في نفسه جيداً قبل تطبيق العقاب.
3. أن يأتي العقاب مباشرة بعد وقوع الخطأ حتى يفهم الطفل السر في عقابه ونتيجة خطئه. ويعني هذا التكنيك أن القلق والارتباطات الأخرى غير السارة يتم اشتراطها استجابياً في بداية الفعل، وبالتالي يحتمل أن يشعر الطفل بعدم الأمان بمجرد بدء عمل الفعل السيئ (ومن المحتمل أن يتوقف عند هذا الحد).

4. أن يكون الألم الناتج من العقاب أكبر من السرور الحادث من ارتكاب الخطأ.
5. وإذا كان الخطأ هيناً يستحسن أن يربح العقاب أملاً في إعطاء الطفل فرصة يصلح فيها ما أفسده، ويفضل عادة في التربية العقوبات النفسية على العقوبات البدنية، فرب ملاحظة مقصودة أو تلميح أفعال في النفس من قسوة العصا، وفي نفس الوقت يجمع بنا الاحتراس في استعمالها خوفاً من إثارة روح الاستهواء السليبي في نفس الطفل. فلو لم الطفل يجب ألا يتكرر في كل وقت، لأن الطفل نفسه عندما يخطئ يمر بثلاث مراحل:

- أ. تألم من الخطأ، فضميره يؤنبه قبل أن تؤنبه نحن.
 - ب. التضايق من التوبيخ، وإذا تكرر التوبيخ، تحولت الكراهية لمصدر توبيخ.
 - ج. فإذا ما تمادى المرء في تعنيفه ولومه يأخذ الطفل تدريجياً في عدم المبالاة.
- والقاعدة العامة في العقاب أن يترك الطفل المعاقب بعد وقوع العقاب عليه مباشرة، فلا يناقش لأنه يكون غاضباً، ولا يمكن أن يتابع مناقشة منطقية وهو في حالة نفسية حادة، وأولى بالمرء أن ينسى ما يتعلق بالخطأ حتى لا يترك أثراً باقياً مستديماً. أما التهديدات الوهمية (كقتل الطفل، أو مناداة الغول والبعاتي) فلا يمكن أن تؤدي إلا إلى أحد أمرين - إما فرغ الطفل وجبنه واضطرابه، أو استخفافه بالتهديد وبصاحبه، ولكنها لا توصله إلى الخلق الطيب الذي نرجوه.

ويشير الإمام أبو حامد الغزالي في هذا الصدد في كتابه إحياء علوم الدين فيما يتعلق بإثابة السلوك الحسن للطفل بقوله: (ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه بما يفرح به، ومدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة، فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره، ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يزيد حسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن

عاد ثانية، ينبغي أن يعاتب سراً، ويعظم الأمر فيه، ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا).

يلاحظ من النص السابق أن الغزالي ناقش مسألة الثواب والعقاب وأساليب تدعيم السلوك الاجتماعي الحسن لدى الأطفال، وذلك عن طريق تشجيعه وبتثالثة في نفسه ومدحه أمام الآخرين واعتماد الإثابة أو المكافأة على الفعل الحسن والعقاب على الفعل السيء، وعدم التقليل من أهميته، لأن ذلك يؤثر في نفسه ويجعله يعاند ولا يكثر مستقبلاً بما يصدر عن الأب من توجيه.

يتضح مما سبق أن هنالك بعض المبادئ العامة التي ينبغي أن يلم بها الوالدان قبل التسرع في إصدار التوجيهات والتجذيرات مبنية على خبرة الفهم العام، دون وجود مرجعية قائمة على أسس موضوعية. ومما يؤسف له أنه برغم عدم المعرفة بخصائص الطفل، ولا خصائص الثواب والعقاب، نجد أن كثيراً من أولياء الأمور والمعلمين يعممون تعاملهم مع الأطفال دون مراعاة للفروق الفردية أو مراعاة أن ما يصدر عن الطفل هو عرض لمشكلة ما يعاني منها، لذلك يكون وصفه بالعناد و " قوة الرأس " أقل ما يمكن أن يجنيه، الشيء الذي يؤثر كثيراً على مفهوم الطفل لذاته.

إجابة السؤال الثاني : ينص السؤال الثاني على الآتي : (هل يمكن الاستغناء كلية عن الضرب واستبداله بطرق أكثر إيجابية في التوجيه.؟)

اتفق عدد كبير من علماء التربية وعلماء النفس وكذلك الصيغة العامة لحقوق الطفل الصادرة عن منظمة رعاية الطفولة التابعة للأمم المتحدة على ضرورة إلغاء العقوبة الجسمية في المدارس، وعدم استخدامها كأسلوب للتوجيه والإرشاد من قبل الوالدين، وذلك بسبب أن الآباء والمعلمين يلجئون إليه لأسباب لا تتعلق بالتربية، حيث تقدر لندا دافيدوف (2000) أن هنالك أكثر من مليون طفل يتعرضون للاعتداء

الوحشي، بل أنهم يقتلون في بعض الأحيان من قبل آبائهم في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وعليه يعارض معظم علماء النفس استخدام العقاب وذلك للأسباب التالية التي يوردها عبد العلي الجسماني (1994):

- 1- أنه يفقد ما قد ينطوي عليه من قوة توجيهية إن هو استخدم بصورة روتينية رتيبة.
 - 2- عندما يقدم العقاب باستمرار قد يكتسب الصفة الشرعية وكأنه الوسيلة الوحيدة الصحيحة للتوجيه والإرشاد، وهذا من شأنه أن يتعارض وما يجب أن يلتزم به الأب والمعلم من قيم.
 - 3- أنها توجه الاهتمام للأعراض بدلاً من الاهتمام بمجذور المشكلة التي تؤدي إلى الإخفاق في السلوك المطلوب.
 - 4- أنه من العسير الخيلولة دون العناصر السادية أو السلوكية من أن تتخلل عملية العقاب في بعض الحالات. ولئن كانت هذه العوامل واضحة بصورة بارزة من حيث صلتها بالعقوبة البدنية.
- وتضيف لندا دايدوف (2000) ما يلي:
- 5- لأن المعاقبات المحتملة منفرة، عادة ما يحاول الأطفال الهروب منها أو تجنبها وفي خلال تلك العملية يتعلمون دائماً استجابات اجتماعية غير ملائمة بواسطة التعزيز السالب، وللفرار من التوبيخ القاسي أو الضرب قد يتعلم الأطفال التسلل من المسترل في أوقات معينة أو التظاهر بالمرض، ومثل تلك الاستجابات قد تعمم وتصبح خططاً بارعة متكررة لحل المشكلات.
 - 6- يجسم هؤلاء الذين يستخدمون العقاب الجسمي المحتمل السلوك العدواني بصورة يتعذر تجنبها، وعندئذ يتعلم الأطفال من خلال الملاحظة أن الإيذاء والضرر طريقة مقبولة (ومن المحتمل أن تكون فعالة) لمعالجة المشكلات مع الأفراد الآخرين. وقد

يكون هذا جزءاً من السبب النفسي الذي غالباً ما يدفع الراشدين الذين كانوا يضرّبون بصورة مستمرة في طفولتهم إلى ضرب أطفالهم.

7- عندما يستخدم العقاب الجسدي بصورة متكررة يمكن أن تشتت استجابياً بمشاعر الكراهية والخوف تجاه محدث العقاب (أي أحد الوالدين أو المعلم) وبالمكان الذي يتم فيه العقاب نفسه (المتزل أو المدرسة).

يرى كولز (1991) أنه بدلاً عن العقاب ينبغي استخدام استراتيجية تعديل السلوك، والمفهوم الأساسي في تعديل السلوك هو (المدعم) والذي يعرف بأنه ناتج فعل يقويه أو يضعفه عندما يقدم أو يسحب. فالمدعم الإيجابي سيزيد من تكرار أي سلوك غير متوقع ظهوره، على حين أن المدعم السلبي سيزيد من حدوث أي سلوك عندما يسحب منه المنبه.

ومفهوم التدعيم له أصوله النظرية في (قانون الأثر) عند ثورنديك، والذي يقرر أنه عندما تكون الاستجابة مصحوبة أو متبوعة بحالة رضا، فإنه يتراد احتمال تكرار الاستجابة، ولكن إذا كانت الاستجابة مصحوبة أو متبوعة بحالة من عدم الرضا فإنه يقل احتمال تكرارها. وقد عرف حالة الرضا إجرائياً بأنها الاستجابة التي لا يفعل الفرد شيئاً لتجنبها، وفي الواقع يفعل أشياء لكي تستمر وتتجدد.

ويشير الاسم البديل لتعديل السلوك: (الإدارة الاحتمالية) إلى إعادة تنظيم المكافآت والجزاءات البيئية أو التحكم فيها، وهي التي تقوي استجابات معينة أو تضعفها: إعطاء المدعم بشكل احتمالي هو أن تعطيه فقط بعد السلوك الذي يتراد تكرار حدوثه.

وقبل اختيار طريقة معينة يجب على الفرد أو الراعي أن يحدد السلوكيات التي يجب أن تتغير، وتكرار حدوثها أو المواقف التي تحدث فيها، والمنبهات أو المدعمات التي

يبدو أنها مسئولة عن دوامها أو الحفاظ عليها. كذلك خصائص الطفل وما يحبه ويكرهه.

يختتم الباحث هذا الجزء من الإجابة عن سؤال الدراسة الثاني بالقول أنه يمكن الاستغناء كلية عن العقاب وذلك لأن ضرره أكثر من نفعه، وربما إشارة عابرة تكون أمضي أترا على الطفل إن اتبعت معه طريقة غير متناقضة في توجيه سلوكه.

إجابة السؤال الثالث: ينص السؤال الثالث على أنه: (ما هي أبرز نواحي القصور المرتبطة بالعقاب البدني للأطفال؟)، وهل توجد طريقة فعالة للعقاب البدني، إذا كان لابد منه).

تم الإجابة على هذا السؤال بناء على ما تقدم واستناداً للدراسات التي أجريت في مجال علاقة القسوة والضرب البدني، دون مراعاة للروابط الوجدانية التي يفترض أن توجد بين الأب وابنه، فقد اتضح أن هنالك علاقة كبيرة جداً بين البيئة المتزلية المضطربة والقسوة والضرب وكثير من الاضطرابات الانفعالية مثل الخوف والقلق والغضب والغيرة، هذا إضافة للخجل والاستغراق في الخيال واللامبالاة، كما يصاحب الاضطرابات الانفعالية ضعف وفقدان الثقة بالنفس واضطراب الكلام والتناقض الانفعالي وسهولة الاستثارة الانفعالية والحساسية النفسية بصورة عامة.

كما ترتبط أيضاً المعاملة الوالدية القاسية ونقص إشباع الحاجات الأساسية ببعض اضطراب العادات مثل مص الإهمام وقضم الأظافر واللازمات العصبية (مثل هز الرجلين وحركات الرأس والكتفين ورمش العينين وحركات الفم وجرش الأسنان). هذا إضافة لاضطرابات النوم.

وقرر ابن خلدون في مقدمته أن القسوة في التربية نتائجها وخيمة فقال: (إن من يعامل بالقهر يصبح حملاً على غيره، فهو عاجز عن الذود عن نفسه وشرفه

وأسرته لخلوه من الحماسة والحمية، فقد كان مرباه بالعنف والقهر فهو قد تعود الذل والخنوع، ولذلك صارت له هذه عادةً وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي لديه).

أما الإجابة عن الشق الثاني من السؤال الثالث فقد أجابت عنه دعاء ممدوح (2003) أنه لا بد من مراعاة العوامل التالية حتى يضمن المربي أو الموجه فاعلية العقاب البدني، هذا مع مراعاة أن المربي قد لا يحتاج للعقاب إن هو راعي مبادئ الحب والدفء القائم بينهما :

1- أن يكون العقاب مناسباً للعمل، فمن وسخ ينظف، ومن مزق قصة يحرم من القصص لفترة، ولا يكون من الخفة بحيث لا يجدي أو من الشدة بحيث يجرح الكبرياء.

2- أن يكون عادلاً، فإن عوقب طفل لأنه ضرب زميله، لا بد وأن يعاقب من يعمل مثل ما عمل، وإن عوقب لأنه سرق متاع أخيه، لا يضحك الأهل له لأنه سرق متاع أخيه.

3- أن يكون فورياً ليتضح سبب العقاب، فيتلو الخطأ مباشرة.

4- أن يخفف بالاعتراف، ليتعود الأطفال فضيلة الصدق.

5- التدرج في إيقاع العقوبة، فيوبخ سراً في البداية لأن من اعتاده جهاراً حمله ذلك على الوقاحة وهان عليه سماع الملامة. أما إذا وجد المربي أن الأصح الردع لضخامة الخطأ، ومنعاً لمعاودته، فلا مانع من استعمال العقوبة الأشد لئلا يستهين الطفل بالخطأ.

6- ألا يتوعد الطفل بما يسيء إلى المبادئ والمثل كأن يقال: إن عملت كذا سأرسلك للطبيب، مثلاً.... (حتى لا يعتاد الخوف من الطبيب)

8- عدم تكرار الوعيد والتوبيخ الذي لا جدوى منه، إذ يتعلم الطفل عدم الاكترار والاستمرار في العصيان .

- 9- السب عن استخدام كلمة سيئ ، بليد وما شابه هذه الألفاظ، لئلا يعتادها الطفل فيتبلد إحساسه وكذا عدم الاستهزاء به بنداثة: يا أعرج، يا أعور... أو مناداته يا كذاب، يا لص، فيتجراً على الباطل بهذا النداء، والله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (11) سورة الحجرات .
- 10- عدم مناقشة مشاكل الأطفال أمام الآخرين، فالانتقاد اللاذع للطفل ومقارنته السيئة مع الآخرين خطأ فاحش يؤدي إلى إثارة الحقد والحسد، وهذا أدم الإسلام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمح ويعرض ولا يصرح يقول: "ما بال أقوام! يفعلون كذا كذا." يقول: "ما بال أقوام! يفعلون كذا كذا."
- 11- أن تتحاشى الأم شكوى الطفل إلى والده أو مدرسته إلا في الحالات التي تحتاج إلى مساعدة الغير وبدون علم الطفل لئلا يفقد الثقة بها، وإذا وقع العقاب من أحد الأبوين، فالواجب أن يوافق الآخر وكذا إن وقع من المعلمة فلا تناقض الأسرة المدرسة (من مديرة وإداريات ومعلمات) رأي المعلمة ويشعر الطفل بذلك. وإلا فلا فائدة من العقاب،
- 12- أن يشعر أن العقوبة لمصلحته لا للتشفي وليس سببها الغضب.
- 13- ألا تعطى الأم وعوداً بالثواب بأشياء لا تستطيع الوفاء بها، وإلا لن تنفعها النصائح والتوصيات المتوالية بالصدق. أما التهديد فلا ضرر بعده من عدم تنفيذ العقاب وإنما يمكن أن يستتاب الطفل دون تنفيذ التهديد بشرط واحد، هو ألا يعتقد الطفل أن التهديد مجرد التهديد لا للتنفيذ، فينبغي أن ينفذ التهديد أحياناً حتى يعتاد الطفل احترام أقوال الأم.

14- الاهتمام بالشواب أكثر من العقاب وذلك بسبب الأثر الانفعالي السيئ الذي يصاحب العقاب. أما الاستحسان ففيه توجيه بناء للترام السلوك المرغوب فيه وحب الخير أكثر منه الكف عن العمل المعيب.

15- وأخيراً، فالأم في يقظة تامة، ومتابعة مستمرة لأطفالها ومحاسبة لنفسها، تراعي في تصرفاتها أن تكون بحكمة وروية. طريقها في التربية خالية من القوضى، ونظام خال من التزمّت. حازمة لأنها تعلم أنّها لن تسدي لطفلها صنيعاً إن استسلمت لرغبتة فبالحزم يتعلم الطفل التعامل مع بعض الظروف القاسية في المستقبل إذا خرج إلى معترك الحياة. لا يفوتها تشجيع ذي الخلق من أطفالها، ولا الحزم مع العايب المؤذي فتحاول انتشاله مما هو فيه، مراعية تناسب العقاب مع الخطأ.

الخاتمة :

ختاماً أهم ما تحاول هذه الدراسة التأكيد عليه حول أثر الضرب على سلوك الطفل: ضرورة أن يعرف المربي طفله من حيث خصائصه، ومعرفة وسائله التربوية وآثارها، ومعرفة أهدافه التي يريد تحقيقها، وقد أشارت الدراسة للاعتبارات التي يجب مراعاتها عند اللجوء للضرب البدني. كما تمّ التّعرض لوسيلة المكافأة وآثارها، وشروطها وكيفية استخدامها. وكذلك آثار العقاب الإيجابية والسلبية، وكذا التدعيم، وبذلك تكون قد اتضحت أهم معالم هذه الأساليب الشائعة الاستخدام في تنشئة الطفل. ويستنتج مما تقدم أن الهدف هو تنمية الطفل ووقايته من مشكلات النمو في مراحلها المختلفة، ومعرفة المفاهيم النفسية المقررة لأساليب التنشئة والموضحة لكيفية تطبيقها وتقويمها، وأهدافها في تنمية مهارات الطفل، وتوسيع دائرة خبراته، وتقوية إرادته بتبادل مهارة حل المشكلة، واكتساب الخبرة، وتقوية الإرادة. لا مجرد ضرب الطفل باعتباره يفهم كل ما نفهمه

وبالتالي نطالبه دائما بالتصرف بما نرى أنه الصواب، فالطفل ينبغي أن يعاقب بفهمه لا بفهم الوالدين لأن الفارق بين الفهمين شاسع اليون.

المراجع

- أبو حامد الغزالي (1356هـ) إحياء علوم الدين، لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة
- شفيق فلاح (1989) أساسيات علم النفس التطوري، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- محمد رفعت رمضان وآخرون (1984) أساسيات علم النفس التطوري، دار الجيل، بيروت، لبنان
- دعاء ممدوح (2003) : <http://www.islamonline.net/Arabic/Sitemap.htm>
- ليندا دافيدوف (2000) التعليم وعملياته الأساسية، ترجمة سيد الطراب، ومحمود عمر وفؤاد أبو حطب، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة.
- محمد عودة (1993) أصول التربية وعلم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة جمهورية مصر العربية.
- كولز (1992) في علم نفس الطفل، الجامعة الأردنية، الدار الدولية للطباعة والنشر والتأليف، عمان، الأردن.
- ه. س.ن. مكمارلند (1994) علم النفس والتعليم، ترجمة عبد العلي الجسماني وآخرون، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.